قضية
الوحى فى القرآن الكريم

الدكتورة
سهام فاروق محمد عمر
مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة
جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلقه محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، الموحى إليه بآيات الذكر الحكيم، صلى الله تعالى وسلم وبارك عليه وعلى من سبقه من النبيين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإني أحمد الله ﷻ أن وفقني إلى خدمة دينه، ويسر لي الأمور للاشتغال بالعلم دراسة وتدريساً، وكتابة وتأليفاً، وكان من أجل إكرام الله عز وجل أن ألهمني البحث في علوم القرآن.. لكنى والحق أقول: وقفت حائرة متحيرة أمام هذا الخضم الهائل من علوم القرآن متساءلة: في أيها أبحث وأدرس ؟ فالقرآن الكريم مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع الله سبحانه وتعالى فيه علم كل شيئ وأوضح فيه وأبان كل هدى وغى، فترى كل ذي علم وفن يستمد منه ويعتمد عليه.

فالفقية يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام.

والنحوي يبنى منه القواعد والإعراب، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول وصوابه.

والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام.

وفيه من القصص والأخبار ما يُذكّر أولى الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها.

إلى أن هداني رب العالمين – بعد استخارته – إلى دراسة **(قضية الوحي في القرآن الكريم)**.

فالوحي من القضايا التي أثيرت حولها شبهات عديدة وأنكرتها قلوب

جاحدة، وعقول واهية.

وقد جعلت بحثي في خمسة مباحث:

الأول : مفهوم الوحي ومعناه، وأهمية الوحي في حياة البشر.

الثاني: صور الوحي وكيفياته.

الثالث: فتور الوحي وانقطاعه.

الرابع: الأدلة على وقوع الوحي.

الخامس: شبه الجاحدين على الوحي والرد عليها.

وأخيرًا الخاتمة وفيها خلاصة موجزة وبعض النتائج والتوصيات .

وأسأل الله تعالى الهدى والسداد والتوفيق لما فيه رضاه وصلاحنا، وأدعوه تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم ونافعا لعباده الصالحين.

والله من وراء القصد، وإليه الإنابة، وهو المستعان، ومنه التوفيق، وعليه التكلان.

د. سهام فاروق محمد عمر
مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

المبحث الأول
مفهوم الوحي ومعناه

أولاً: معنى الوحي في اللغة

أطلق العرب لفظ (الوحي) واستعملوه في لغتهم، ولم يختلف علماء اللغة في تعريفاتهم للوحي ، فقالوا:

" الوحي: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ماألقيته إلى غيرك، يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت، ووحي وحيا وأوحى أيضاً. أي كتب. قال العجاج:

حتى نحاهم جدنا والناحي لقدر كان وحاه الواحي (١)

والوحي المكتوب، والكتاب أيضاً، وعلى ذلك جمعوا فقالوا وُحِبي مثل حُلّي وحلى. قال لبيد... كما ضمن الوحي سلامها (٢). وفي حديث الحارث الأعور قال علقمة: قرأت القرآن في سنتين فقال الحارث: القرآن هين، والوحي أشد منه، أراد بالقرآن القراءة، وبالوحي الكتابة والخط، يقال وحيت الكتاب وحياً فأنا واح (أي كاتب)... وأوحى إليه: بعثه، وأوحي إليه: ألهمه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ** ﴾ (٣).

وفيه: ﴿ **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا** ۝ ﴾ (٤)، ومعنى هذا: أمرها ووحي لها. وفي هذا المعنى قال العجاج:

وحى لها القرار فاستقرت وشَرَّها بالراسيات الثبت (٥)

وقيل: أراد أوحى إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف

---

(١) وحاه الواحى: أي كتبه الكاتب.
(٢) السلام: الحجارة، أراد كما تضمن الحجارة وتحفظ مايكتب عليها.
(٣) سورة النحل: آية ٦٨.
(٤) سورة الزلزلة: آية ٥.
(٥) أي أمر الله الأرض بالقرار وشدها بالجبال الراسيات..

ويروى أوحى، ووحي إليه، وأوحي: كلمه بكلام يخفيه من غيره، ووحي إليه وأوحى: أومأ، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾[1].

قال الفراء: " أي أشار إليهم.

وقال ابن الأعرابي: أوحى.. إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة، وأيضاً إذا كلم عبده بلا رسول، وأوحى الإنسان إذا صار ملكاً بعد فقر.

وقال ابن الأنباري في قولهم: "أنا مؤمن بوحي الله" سُميي وحَيْاً لأن الملك أسرّه عن الخلق وخص به النبي ﷺ المبعوث إليه...

وقال أبو إسحاق: "أصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، والوحي (بفتح الحاء ممدودة) النار، والملك، والسيد من الرجال، والوحي والوحي مثل الوغى: الصوت يكون في الناس... ومَوْتُ وَحِي سريعٌ"[2].

وقال الراغب الأصفهانى: "أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل: "أمر وَحِى" وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد من التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة... ومن وحى الإيماء بالجوارح قول الشاعر:

فأوحى إليها الطرف أنى أحبها فأثَّر ذاك الوحي في وجناتها[3]

---

(١) سورة مريم: آية ١١.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ج٢٠ ص٢٥٧. والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادى وما بعدها طبعة الدار المصرية للنشر ٤/ ٤٠١ طبعة مصطفي الحلبى. وانظر المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ص ١٠١٠ طبعة الأميرية. وانظر مختار الصحاح: لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى ص ٧٣٠ طبعة الأميرية. وانظر أساس البلاغة: لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ص ١٠١٠ طبعة الشعب.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: للحسين محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو

وبعد أن استعرضنا أقوال علماء اللغة نستطيع أن نخلص إلى نتيجة وهى أن الوحي إعلام سواء أكان بإشارة، أو بكتابة، أو برسالة، أو بإلهام، أو بكلام سريع وخفي، فكل هذه الوسائل وسائل إعلام لتبليغ أمر ما.

ثانياً: معنى الوحي في الاصطلاح الشرعي

والمعنى الاصطلاحي قد يكون تخصيصاً للمعنى اللغوي أو قصراً له على واحد من أفراده أو نقلاً له إلى معنى جديد يربطه بالمعنى اللغوي رابطة معينة.

إطلاقات الوحي الشرعي:

يطلق الوحي في الشرع ويراد به المعنى المصدري، والمعنى الحاصل بالمصدر، أي على المصدر وعلى متعلقه، وهو ماوقع به الوحي أي اسم المفعول.

وبعبارة أخرى: فإن اللفظ يطلق على عملية نزول الوحي وعلى الموحى به، فتطلق كلمة الوحي ويراد بها جبريل وما ينزل به جبريل، والقرآن وحي: موحى به، والسنة وحي كذلك، وتوجد فروق بين الوحيين.(١)

وخير تعريف للوحي الشرعي هو أنه "إعلام الله تعالى لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم بما يريد إبلاغه لهم من شرع أو كتاب بالكيفية التي يريدها سبحانه"(٢).

القاسم، ٢/ ٤٩٦، دار القلم ، دمشق.

(١) من قضايا الوحي والتنزيل في القرآن الكريم للدكتور / عبد الفتاح إبراهيم عبد الرحمن سلامه ص ٣٠ طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا. تنظر الفروق بين القرآن والسنة في مظانها.

(٢) الوحي المحمدى للشيخ رشيد رضا ص ٨ طبعة الزهراء للإعلام العربى، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٤٨، ١٤٩ طبعة الهلال، والظاهرة القرآنية للأستاذ مالك بنى نبى ص ١١٩، ١٢٠، طبعة العروبة ١٩٥٨ م، والمدخل لدراسة القرآن الكريم للشيخ أبى

اعتراض الشيخ محمد عبده على هذا التعريف:

وقد اعترض الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد على هذا التعريف فقال: "وقد عرفوه شرعاً: (أنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه) وأما نحن فنعرفه على شرطنا (أنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يمثل لسمعه أو بغير صوت. ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور)[١].

الموافقون للشيخ محمد عبده:

وقد تابعه تلميذه رشيد رضا ونقل هذا الرأي دون تعقيب عليه في كتابه الوحي المحمدي[٢] وتناقل هذا التعريف نقلاً عن "الوحي المحمدي" علماء آخرون معاصرون فذكروه في مؤلفاتهم ومنهم مناع القطان في كتابه" مباحث في علوم القرآن"[٣].

المعارضون لهذا التعريف:

ولقد نقل الأستاذ مالك بن نبي المفكر الجزائري في كتابه " الظاهرة القرآنية " هذا التعريف عن الوحي وتعقبه بقوله " ولقد بقى في هذا التعريف الذي أسهب الأستاذ الإمام في تحديده بعض الغموض فيما يتصل بتفسير اليقين عند النبي ﷺ. والواقع أننا في الحالة التي لا يكون الوحي منها منتقلاً بطريقة محسة – مسموعة أو مرئية – سنقع في تعريف الوحي تعريفاً ذاتياً محضاً، إذ إن النبي ﷺ

شهبة ص ٧٤ طبعة الأزهر ١٩٥٨ م، ولمحات في علوم القرآن للدكتور محمد بن لطفي الصباغ ص ٤٥ المكتب الإسلامى.

(١) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ١٤٨، ١٤٩.

(٢) الوحي المحمدى لرشيد رضا ص ٨.

(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٣٣ طبعة مؤسسة الرسالة.

في التحليل الأخير لا يدرى بصفة موضوعية كيف جاءته المعرفة وهو يجدها في نفسه مع تيقنه بأنها من عند الله، إن في ذلك تناقضاً واضحاً يخلع على ظاهرة الوحي كل خصائص المكاشفة، ولكن هذه المكاشفة كما يجب أن نكرر – لا تنتج يقيناً مؤسساً على إدراك – ذلك الذي يبدو أنه اليقين المقصود في الآيات التي ورد فيها ذكر الوحي، والتي تتصل بخاصة بإعداد محمد ﷺ الشخصي لفهم طبيعة الظاهرة القرآنية"(١).

وقد أضاف الدكتور عبد الفتاح سلامه بعض المآخذ على تعريف الشيخ محمد عبده بالإضافة إلى ما أخذه الجزائري وغيرهما ومنها:

١ – أن الشيخ رحمه الله ساق تعريفاً غير موضوعي باسم الموضوعية.

٢ – ساق تعريفاً لا تشهد له نصوص القرآن والسنة ولا وقائع الوحي.

٣ – أن هناك فرقاً كبيراً بين " إعلام الله لنبي من أنبيائه " وبين أن يكون الوحي عرفاناً يجده الشخص من نفسه مع اليقين أنه من قبل الله. وفي هذا التعريف الأخير إيهام وغموض، وفقدان للاتساق بين أوله وآخره.

٤ – أن استعمال كلمة (الشخصي) من الشيخ ليست في موضعها لأن النبي ﷺ ليس كأي شخص.

٥ – أن الشيخ وصف الوحي بأنه وجدان تستيقنه النفس ولا يقين في الإلهام، كما أنه قد يلتبس على الإنسان بوساوس الشيطان.

٦ – شبه الشيخ وجدان الإلهام بغرائز الجوع والعطش والحزن والسرور وشتان بين الإلهام والغرائز.

ويضاف إلى ذلك قوله لأنبيائه، فأخرج بهذا التعريف الوحي إلى الرسل بواسطة جبريل عليه السلام .

---

(١) الظاهرة القرآنية: لمالك بن نبي – مفكر جزائري –، ص ١٢٠، بترجمة عبد الصبور شاهين عن الفرنسية، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هـ. ١٩٨١م.

ثالثاً: الوحي في بيان القرآن الكريم

وردت كلمة " الوحي " واشتقاقاتها في تسعة وسبعين موضعاً من القرآن الكريم. ومن أجمع الآيات الكريمة الواردة حول أنواع الوحي الشرعي قول الله سبحانه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝ ﴾ (١).

كلمة الوحي واستعمالاتها في القرآن الكريم:

ومن آيات الوحي الواردة في القرآن الكريم نستطيع أن نحدد استعمالات القرآن لهذا اللفظ فنجد بعض هذه الاستعمالات من باب المعنى اللغوي وبعضها من باب المعنى الاصطلاحي، وفيما يلي هذه الاستعمالات:

١ – الوحي إلى رسول الله ﷺ (اصطلاحي)

٢ – الوحي إلى النبيين أجمعين (اصطلاحي).

٣ – الوحي الإشارى (لغوي).

٤ – الوحي قبل النبوة (لغوي).

٥– الوحي إلى أمهات بعض الأنبياء (لغوي).

٦ – الوحي إلى الملائكة (لغوي).

٧ – معنى الوحي إلى الحواريين (لغوي).

٨ – الوحي التسخيرى للأحياء (لغوي).

٩– الوحي التسخيرى للجمادات (لغوي).

١٠– وحى الشياطين إلى أوليائهم (لغوي).

(١) سورة الشورى: آية ٥١.

وفيما يلي تفصيل لما سبق:

(١) الوحي إلى رسول الله ﷺ:

ذكر الوحي إلى الرسول محمد ﷺ في آيات عدة منها:

** قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ.. ﴾ (١).

** وقوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ... ﴾ (٢).

** وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ...﴾ (٣).

(٢) الوحي إلى النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

تحدث القرآن الكريم عن الوحي إلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فدين الله واحد، وقضية الوحي واحدة، ورسل الله جميعا جاءوا برسالة واحدة. قال سبحانه رب العزة: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾(٤).

فهذه الآيات الكريمة تحدثت عن وحدة الوحي، وأن رسول الله ﷺ ليس بدعاً في الوحي إليه ولا فيما أوحى إليه. وذكرت عدداً من الرسل والأنبياء الأكرمين من أول نوح باعتباره أبا البشر الثاني بعد آدم عليه السلام وأول أولى العزم من

(١) سورة النساء: آية ١٦٣.

(٢) سورة يوسف: آية ٣.

(٣) سورة الرعد: آية ٣٠.

(٤) سورة النساء: الآيات من ١٦٣: ١٦٥.

المرسلين، وأول نبي أوحى إليه برسالة من النبيين وقد كان آدم عليه السلام نبياً مكلماً، وبينت الآيات الغاية من الوحي ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (١).

ويؤكد القرآن الكريم معنى هذه الوحدة في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (٢). وقوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣). فالله سبحانه يقطع المعذرة وسبيلها على الممترين في أمر الوحي من مشركي قريش وغيرهم ويسوق لهم الدليل بما سبق من الرسالات ويأمرهم بسؤال أهل العلم من أهل الكتاب الذين لم يزغ(٤) الشيطان قلوبهم، ويتبع الحديث عن إرسال المرسلين صلوات الله عليهم بالبينات والزبر بذكر بينة القرآن وإنزال الذكر بيانا للناس كافة، ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (٥). وليستقر في أذهان البشر ويرسخ في أعماقهم أن توحيد الله عز وجل هو ركن الوحي الركين وأساسه المتين. يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن

(١) سورة النساء: آية ١٦٥.
(٢) سورة يوسف: آية ١٠٩.
(٣) سورة النحل: الآيات ٤٣، ٤٤.
(٤) الزَّيْغُ المَيْلُ زاغَ يَزِيغُ زَيْغاً، قال تعالى: ﴿رَبَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إِذْ هَدَيْتَنا﴾ آل عمران: ٨، أي لا تُمِلْنا عن الهُدَى والقَصْدِ ولا تُضِلَّنا، لسان العرب ٨ / ٤٣٢.
(٥) سورة الأنبياء: آية ٧.

مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1].

(٣) الوحي الإشارى:

وتأتى كلمة الوحي بمعنى الإشارة لغة كما تقدم ومثال ذلك ما ورد في قوله سبحانه عن زكريا عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ ﴾[2]. فهو عليه السلام خرج من المحراب لا يكلم أحداً وهو سوى من كل آفة تمنعه من الكلام فأومأ إليهم آمراً إياهم بتسبيح الله، وقيل: كتب لهم[3] وذلك كما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾[4]. وفي تفسير هذه الآية يقول الإمام الشوكانى: "أي علامتك أن تحبس لسانك عن تكليم الناس ثلاثة أيام لا عن غيره من الأذكار"[5].

ويقول الإمام البيضاوى: "أي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً وإنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك أن يُحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال"[6].

(٤) الوحي إلى بعض الأنبياء قبل النبوة:

---

(١) سورة الزمر: الآيات ٦٥، ٦٦.
(٢) سورة مريم: الآيات ١٠، ١١.
(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوى ص ٢٩٩ طبعة البهية المصرية.
(٤) سورة آل عمران: آية ٤١.
(٥) تفسير فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ج١ ص ٥١٠ طبعة دار الفكر.
(٦) تفسير البيضاوى ص ٦٨.

وذلك لأن الله تبارك وتعالى يُعِدُّ أنبياءه لرسالته فيحفظ لهم فطرتهم حتى يحين الوقت الذي يفيض فيه أنوار وحيه على قلوبهم، فهو سبحانه يرعاهم من حيث لا يشعرون أو من حيث يشعرون حتى يتم رسالته ويبلغ الكتاب أجله. "من ذلك ما كان من لطفه سبحانه وتعالى بيوسف وقد اجتمعت عليه صبياً المحن وتظاهرت عليه الخطوب، فهو ممتحن بإخوة تسعرت نيران الأحقاد وطغت على جوارحهم فكادوا له كيداً لئيماً ووضعته المؤامرة في غيابة جب، وأبدلته من حنان الأخوة وزلفي المودة، غدر الأولياء وانفصام الإخاء، وتركوه بين مخافات مهلكة، وفزع بئيس وهنا يهبط الفيض وتتنزل السكينة"(١) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾(٢) فلقد كان الوحي قبل نبوته بيقين كما في قوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ ﴾(٣).

ولقد نص غير واحد من المفسرين على أن هذا الوحي، كان في طفولته، وكادت أن تتفق عبارة ثلاثة منهم على ذلك وهم الزمخشرى وأبو السعود والبيضاوى، فقد قالوا: " وأوحينا إليه عند ذلك تبشيراً له بما يؤول إليه أمره وإزالة لوحشته وإيناساً له، قيل: كان ذلك قبل إدراكه، كما أوحى إلى يحيى وعيسى، وقيل: كان إذ ذاك مدركاً، قال الحسن ﷺ كان له سبع عشرة سنة"(٤).

وذهب البيضاوى إلى أن وسيلة الوحي كان جبريل عليه السلام ونحن لا نقطع بذلك، بل نقف عند نص القرآن الكريم، وكذلك عيسى عليه السلام أوحى إليه وكلم

(١) من قضايا الوحي والتنزيل للدكتور / عبد الفتاح سلامه ص ١٥.
(٢) سورة يوسف: آية ١٥.
(٣) سورة يوسف: آية ٢٢.
(٤) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبى القاسم محمود ابن عمر الزمخشرى ج٢ ص ١٢٦ طبعة الحلبى. وتفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العماوى ج٣ ص ٥٧ طبعة صبيح بالقاهرة، وتفسير البيضاوى ص ٢٣٤.

الناس في المهد صبياً، وكان ذلك قبل أن يؤمر بالنهوض بأعباء الرسالة تكليفاً وتشريفاً كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

فقوله: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ قال الزمخشرى: "الحكم: الحكمة.. وهو الفهم للتوراة، وقيل: العقل: وقيل: النبوة لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى إليه"[3].

وقال البيضاوى: "وقبل النبوة أحكم الله عقله في صباه واستنبأه"[4] – أي جعله نبياً – واختار الجلال المحلى تفسير "الحكم" بالنبوة. وقال: "صبياً: ابن ثلاث سنين"[5].

وقال الشوكانى: "حكم لي بإيتائي الكتاب والنبوة في الأزل، وإن لم يكن قد نزل عليه في تلك الحال ولا قد صار نبياً"[6]. وهذا الرأي هو ما أميل إليه.

(٥) الوحي إلى أمهات بعض الأنبياء:

(١) سورة آل عمران: آية ٤٦.
(٢) سورة مريم: الآيات ٢٩: ٣٣.
(٣) تفسير الزمخشرى ج٢ ص ٢٧٥.
(٤) تفسير البيضاوى ص ٢٩٩.
(٥) تفسير القرآن الكريم لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ص ٢٨١ طبعة دار القلم ١٩٦٦ م.
(٦) تفسير الشوكانى ج٣ ص ٣٣٥.

وقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى أمهات بعض أنبيائه لأمور تتعلق بولادة هؤلاء الأنبياء أو بالحفاظ على حياتهم، وللتثبت والربط على قلوب الأمهات، وأشهر هذه الإيحاءات وحى الله لأم موسى عليه السلام. قال العليم الخبير: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[1].

فهذه الآية الكريمة التي جمعت لأم موسى أمرين "أرضعيه – ألقيه" ونهيين "لا تخافي ولا تحزنى" وخبرين فيهما بشارتين "إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين" فكيف بأم تخشى على وليدها من هلاك فرعون تلقيه في نهر جار؟ من المؤكد ومما لاشك فيه أن وحيا تمكن من قلبها طمأنها لذلك.

يقول ابن كثير: "فلما ضاقت به ذرعاً ألهمت في سرها وألقى في خلدها ونفث في روعها.."[2].

ويقول أبو السعود: "وأوحينا إلى أم موسى" بإلهام أو رؤيا[3].

أما الزمخشرى فيقول: "وأومنت بالوحي إليها وُعِدت ما يسليها ويملأها غبطة وسروراً.. فلما ألح فرعون في طلب الوِلْدان أوحى الله إليها فألقته في اليم"[4].

وذهب البيضاوى وجلال الدين المحلى إلى ما ذهب إليه ابن مسعود وهو أنه كان وحى إلهام أو منام[5].

أما القرطبى فيفصل الأقوال في المسألة حيث يقول: "واختُلِف في هذا الوحي إلى أم موسى، فقالت فرقة: كان قولاً في منامها. وقال قتادة: كان إلهاماً، وقالت

---

(١) سورة القصص: آية ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقى ج٣ ص ٣٨٠ طبعة دار إحياء الكتب العربية.

(٣) تفسير أبو السعود ج٤ ص ١٤٧.

(٤) تفسير الزمخشرى ج٢ ص ٤٦٦.

(٥) تفسير اللبيضاوى ص ٣٧٥. وتفسير الجلالين ص ٣٥٨.

فرقة: كان بملك تمثل لها. وقال مقاتل: أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحى إعلام لا إلهام، وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية"[1]. واحتج القرطبى برويات صحيحة عن تكليم الملائكة لبعض الناس من غير نبوة.

ونقل ابن منظور في لسان العرب من الأقوال ماهو جدير بأن يذكر...

قال الأزهرى.. وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ الوحي ها هنا إلقاء الله في قلبها قال: وما بعد هذا يدل والله أعلم على أنه وحى من الله على جهة الإعلام للضمان لها ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وقيل: إن معنى الوحي ها هنا الإلهام، وجائز أن يلقى الله في قلبها أنه مردود إليها وأنه يكون مرسلاً ولكن الإعلام أبين في معنى الوحي ها هنا[2].

ويرجح أنه وحى إعلام قوله عز من قائل: ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فهذا خبر تمكن من قلب وعقل أم موسى وليس مجرد شعور أو تنبؤ أو ظن.

ومن الأمهات اللائي أوحى الله إليهن بوحيه المبارك مريم عليها وعلى ابنها السلام فقد قال تعالى في سورة حملت إسمها ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ج ١٣ ص ٢٥٠، طبعة دار الكاتب العربى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

(٢) انظر لسان العرب ج٢٠ ص ٢٥٨.

(٣) سورة مريم: الآيات ١٦: ١٩.

﴿ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١).

فهذه آيات صريحة في الوحي إلى مريم عليها السلام، وفي رسالة جبريل عليه السلام إليها وبشارة الملائكة لها.

وإنه لمن الواضح أن الوحي إلى السيدة مريم عليها وعلى ابنها السلام وكذلك أم موسى، لم يكن إلا من جميل عناية الله وعظيم رعايته بولديهما الكريمين ثم بهما بالتبعية وليس العكس صحيحاً؛ فقد نص القرآن الكريم على أن وحي النبوة والرسالة لم يكن إلا للرجال، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾(٢).

(٦) الوحي إلى الملائكة:

أما وحى الله إلى الملأ الأعلى من الملائكة فأمر بيِّن بديهي، فأمين وحى السماء إلى الأرض وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ **فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾** ﴾ (٣)، أي: فأوحى الله سبحانه إلى عبده جبريل ما أوحاه جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ.

ويقول العلى القدير: ﴿ **يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾** ﴾ (٤).

يقول الشوكانى: "الروح: الوحي، ومثله: ﴿ **يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ** ﴾(٥) وسمى الوحي روحاً لأنه يحيى قلوب المؤمنين. فإن من جملة الوحي: القرآن، وهو نازل من الدين منزلة الروح من الجسد. وقيل: المراد: أرواح الخلائق. وقيل: الروح: الرحمة. وقيل: الهداية، لأنها تحيا بها القلوب، كما تحيا الأبدان بالأرواح. قال الزجاج: الروح ما كان فيه من الله حياة بالإرشاد إلى

(١) سورة آل عمران: آية ٤٥.
(٢) النحل: ٤٣.
(٣) سورة النجم: آية ١٠.
(٤) سورة النحل: آية ٢.
(٥) سورة غافر: آية ١٥.

أمره. وقال أبو عبيد: الروح هنا جبريل"(١).

ويقول سبحانه أيضاً عن وحيه إلى الملائكة: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(٢).

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (٣).

وجبريل عليه السلام لا ينزل بالوحي إلا إذا كان مُوحَى إليه به من عند الله سبحانه بداهة وقطعاً، وكذلك الملائكة جميعاً لذا يقول تعالى عن وحيه إلى الملائكة في بدر: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (٤).

(٧) معنى الوحي إلى الحواريين:

يقول عز من قائل: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (٥). فليس الوحي وحياً مباشراً إلى الحواريين وإنما هو وحى إليهم عن طريق رسولهم عيسى عليه السلام والمعنى أمرتهم فيما أوحيت إلى عبدي عيسى عليه السلام أن يؤمنوا ويصدقوا بأن عيسى رسول من عندي، وفي عبارة الزمخشري، أمرتهم على ألسنة الرسل. وقد نقلها عنه غيره(٦).

أما ابن كثير فقال: "﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ أي أُلهموا ذلك فامتثلوا ما أُلهموا".

---

(١) تفسير فتح القدير ج٣ ص ١٥١.
(٢) سورة النحل: آية ١٠٢.
(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢: ١٩٥.
(٤) سورة الأنفال: آية ١٢.
(٥) سورة المائدة: آية ١١١.
(٦) انظر تفسير الكشاف ج١ ص ٤٩٠، والبيضاوى ص ١٣٦.

وقال السدى: قذف في قلوبهم ذلك، ويحتمل أن يكون المراد وإذ أوحيت إليهم بواسطتك فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله فاستجابوا لك وانقادوا وتابعوك فقالوا: ﴿ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1][2].

وأرى أن الوحي في الآية الكريمة لم يكن وحي إلهام مباشر للحواريين؛ وإنما كان وحياً عن طريق عيسى عليه السلام؛ ذلك أن القرآن الكريم دعا أصحاب عيسى بالحواريين؛ والحواريُّون في اللغة هم: خُلَصَاء الأنبياءِ عليهم السلام وصفوتُهم[3]. وقد كان الحواريون أنصاره دون الناس، المستجيبون له والمنقادون إليه، قال ابن منظور: قيل لناصر نبيه حَوارِيٌّ إذا بالغ في نُصْرَتِه تشبيهاً بأُولئك[4].

(٨) الوحي الإلهامى التسخيرى إلى الكائنات الحية:

أودع سبحانه في فطرة النحل غرائز ومواهب وملكات، كما أودع في كل ما خلق ومن ذلك إلهام البهائم لفعل ما ينفعها، وترك ما يضرها، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾[5] فوحي الله تعالى إلى النحل وتسخيرها لتكون نعمة من نعم الله وآية من آياته أمر جليّ في نظام حياتها وعطائها.

يقول ابن كثير: "المراد بالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً تأوي إليها ومن الشجر"[6].

ويقول الزمخشرى: " الإيحاء إلى النحل إلهامها، والقذف في قلوبها

(١) المائدة: ١١١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٢٤.
(٣) تهذيب اللغة: ٢/ ١٨٢.
(٤) لسان العرب: ٤/ ٢١٧.
(٥) سورة النحل: آية ٦٨، ٦٩.
(٦) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٧٥.

وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه وإلا فنيقتها[١] في صنعها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها كما أولى أُولى العقول عقولهم "[٢].

(٩) الوحي التسخيرى للجمادات:

أما عن تسخير الجمادات بالوحي فيقول عنه عز من قائل: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾[٣].

يقول البيضاوى عند قوله سبحانه: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ "أي شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً"[٤] وقد ذهب إلى هذا التفسير الكثير من العلماء.

وفي التفسير العلمى للآيات الكونية في القرآن: يقول الأستاذ حنفي أحمد في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ قال: "لم يقل سبحانه وهي سحاب أو بخار مثلا فيكون في تخصيص تشبيهها بالدخان إشارة قوية محددة إلى أهل العلم يستدلون بها على خصائص هذه المادة وهي أنها كانت مثل الدخان.. مادة مفككة وخفيفة ومنتشرة في الفضاء كانتشار الدخان أو الغاز أو السحاب، وأنها كانت مظلمة وساخنة إلى حد ما، وأنها كانت تحوى رقائق أنواع المادة المختلفة ثم أصدر سبحانه أمره إلى السماء والأرض بأن تكونا وتحصلا على حسب مراده طوعاً أو كرهاً منهما فكانتا وحصلتا كما أراد، ثم أوجد سبحانه وسخر في كل سماء كائناتها من النيران وغيرها"[٥].

---

(١) نيقتها: النيقة بالكسر من تنيق في مطعمه وملبسه إذا تجود وبالغ فيه. انظر القاموس المحيط ج٣ ص ٢٩٧.

(٢) تفسير الكشاف ج٢ ص ٢٠٩.

(٣) سورة فصلت: الآيات ١١، ١٢.

(٤) تفسير البيضاوى ص ٤٥٨.

(٥) التفسير العلمى للآيات الكونية في القرآن لحنفي أحمد ص ٤٢، ٢٠٤ بتصرف طبعة

وأيضاً يذكر القرآن الكريم وحى الله سبحانه إلى الأرض فيقول :﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ ﴾[1].

فالمتبادر من المعنى أنها تحدث أخبارها لأن الله أوحى لها أي: أمرها وأذن لها بأن تحدث، ويفصل الزمخشرى القول فيقول: "معناه: تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها، وأمره إياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى: يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها، على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها، ويجوز أن يكون "بأن ربك" بدلاً من "أخبارها"، كأنه قيل: تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لأنك تقول حدثته كذا وبكذا، و "أوحى لها" بمعنى: إليها، وهو مجاز كقوله سبحانه: ﴿ أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]"[3].

(١٠) وحى الشياطين إلى أوليائهم:

يقول الشوكانى: "(يوحى بعضهم إلى بعض) في محل نصب على الحال، أي حال كونه يوسوس بعضهم لبعض.

وقيل: إن الجملة مستأنفة لبيان حال العدو، وسمى وحياً، لأنه إنما يكون خفية بينهم"[4].

ومما يؤكد ذلك المعنى ويثبت أن الشياطين يوسوسون بالوساوس المخالفة للحق، والمباينة للصواب قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝ ﴾[5].

ملاحظة هامة:

دار المعارف.

(١) سورة الزلزلة: الآيات ٤، ٥.

(٢) سورة يس: آية ٨٢.

(٣) تفسير الزمخشرى ج٢ ص ٣٥٢.

(٤) تفسير فتح القدير ج٢ ص ١٥٩.

(٥) سورة الأنعام: آية ١٢١.

ومن الملاحظ اختلاف المعنى المقصود من الوحي في كل موضع من المواضع السابقة؛ وأرى أنه جاء كذلك مراعاة لمقتضى الحال والمقام، ومن أمثلة ذلك....

وحي الله إلى أم موسى كان تثبيت وربط وسكن لقلبها، وإعلام لها بأن ولدها سيكون من المرسلين، وهو ما يقتضيه مقام الأم الخائفة على ولدها من بطش الملك الظالم؛ فالأم في هذه الحالة من الخوف والهلع على ولدها؛ لن تثق بسهولة في هاجس أو خاطر يدور في خلدها، قال تعالى: ﴿.. وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾(١).

ووحي الله إلى النحل كان وحي تسخير وإرشاد وتذليل، للقيام بعمل منظم دائم، لذلك ناسبه وحي الله تعالى له بسلوك معين على وجه دائم، لتحقيق غاية معينة قال تعالى: ﴿... **اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ...**﴾(٢)

ووحي الله للسماء والأرض كان حديثاً على غرار ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٣)، فهو حديث يحمل في طياته الأمر الذي لا يقبل المراجعة، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا..**﴾(٤)

(١) القصص: ٧.
(٢) النحل: ٦٨، ٦٩.
(٣) يس: ٨٢.
(٤) فصلت: ١١.

أهمية الوحي في حياة البشر

لقد كان وحي السماء للحياة أشبه بسريان الروح في الجسد الميت، أو كالنور الساطع الدفيء يشع ويضيء في غياهب الظلام الدامس؛ كما قال الله عز وجل: ﴿ **كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾ (١).

إن بكاء الصحابة لانقطاع الوحي لم يقل عن بكائهم لفقد شخص النبي ﷺ، فقد كان ذلك الوحي بالنسبة لهم كالبلسم الشافي من كل أمراض ومشكلات المجتمع.

كان الوحي طوق النجاة للمرأة الواهنة التي أتت لتشتكي إلى رسول الله ﷺ زوجها في مشكلة خاصة لم يعلم بها أحد، فينزل الوحي معالجاً لها ومصلحاً لهما، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾(٢) ، فضلاً عن دور الوحي في تنظيم حياة الناس في جميع المجالات وحل جميع مشكلاتهم الصغرى والكبرى.

وعندما يقف الإنسان عاجزاً وحائراً أمام مشكلة ما أو معضلة لا يجد أمامه إلا التعلق بوحي من الله.

وعندما ننظر إلى عَالِم مكتشف لسر من أسرار الطبيعة، أو عَالِم مخترع لآلة ليس لها مثيل سابق؛ ندرك على الفور أن هذا لم يتحقق إلا بوحي من الله.

فالوحي هو وقود الحياة الذي يستمد منه المؤمن طاقته، ويساعده على اجتياز أزماته، ويدفع به دائماً إلى الارتقاء والسمو.

إنه الصلة الروحانية بين الضعيف والقوي، بين العبد وربه، بين المخلوق وخالقه،... فهنيئاً لكل مؤمن بالوحي.

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) المجادلة: ١.

المبحث الثاني
صور الوحي وكيفياته

صور الوحي وكيفياته

ذكر القرآن الكريم للوحي صوراً وكيفيات اجتمعت كلها في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝ ﴾[1].

فصور الوحي إذاً ثلاث:

١ – وحياً.

٢ – من وراء حجاب.

٣ – بإرسال رسول.

أولاً: الوحي: ويكون بكيفيتين:

أحدهما: النفث في الروع:

والروع: بضم الراء هو القلب، ومعنى النفث في الروع إلقاء المعنى المراد في القلب، والروع بالفتح: الفزع، والروعة: الفزعة، والروع: بالضم القلب والعقل، يقال: وقع ذلك في روعي أي في خلدي وبالي[2].

والنفث في الروع جاء في حديث النبي ﷺ: "أن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم"[3].

وهذا الإلقاء في القلب يكون من الله ﷻ أو من جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ مع اليقين القاطع بأن هذا من لدن الله سبحانه.

ثانيهما: الرؤيا الصادقة:

وقد كانت الرؤيا الصادقة أول بدء الوحي فقد جاء في الصحيحين عن

---

(١) سورة الشورى: آية ٥١.

(٢) مختار الصحاح ص ٢٨٢.

(٣) صحيح ابن حبان رقم ١٠٨٤، والمستدرك للحاكم ٢ / ٤، وفتح البارى ١ / ٢٠.

عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.... الحديث"(١).

ومما يدل على أن الرؤية الصالحة للأنبياء في المنام وحى يجب اتباعه: ماجاء في قصة إبراهيم عليه السلام من رؤيا ذبحه لولده إسماعيل، قال تعالى: ﴿ ... قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ... ﴾ (٢). ولو لم تكن هذه الرؤيا وحيا يجب اتباعه لما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده لولا أن مَنَّ الله عليه بالفداء.

والرؤيا الصادقة أو الصالحة كما قال ﷺ هي جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.

وذهب بعض العلماء في تعليل هذه النسبة مذهباً يحسن ذكره، وهو أن فترة الرؤيا الصادقة التي بُدئ بها رسول الله ﷺ كانت ستة أشهر، كان الوحي فيها بالرؤيا الصالحة، وأن مدة مرحلتي المكية والمدنية هي ثلاثة وعشرون عاماً، فتكون نسبة الأشهر الستة إليها هي نسبة جزء من ستة وأربعين جزءاً، وبعد هذه الفترة الأولى من الوحي أوحى إلى الرسول بمجئ الملك جبريل عليه السلام وبالرؤى الصادقة أيضاً(٣)، ومنها رؤاه صلوات الله عليه وسلامه وهو يدخل المسجد الحرام كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (٤).

(١) صحيح البخارى ١ / ٣، وصحيح مسلم ١ / ٩٧، والترمذى ٤ / ٣٠١، وسنن النسائى والمسند ٦ / ١٥٣، ٢٣٢، وانظر شرح الحديث في فتح البارى ١ / ٢٢، وانظر اللؤلؤ والمرجان ١ / ٣٢.

(٢) سورة الصافات: الآيات ١٠٢.

(٣) من قضايا الوحي والتنزيل ص ٣٣.

(٤) سورة الفتح: آية ٢٧. والرؤيا الصالحة ليست خاصة بالرسول ﷺ وإنما هي باقية للمؤمنين، وإن لم تكن وحياً كما قال عليه الصلاة والسلام: " انقطع الوحي وبقيت المبشرات، رؤيا المؤمن". صَحِيْح البُخَارِي : باب المبشرات ٦ /٢٥٦٤ رقم (٦٥٨٩) من حديث أبي هريرة .

ثانياً: من وراء حجاب:

وهو ثابت لموسى عليه السلام حيث كلمه رب العالمين من وراء الشجرة كما نص على ذلك القرآن: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (٢).

وأكد سبحانه كلامه لموسى بقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٣).

وورد النص أكثر عموماً في قوله سبحانه: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ (٤).

وقد كلم الله سبحانه رسوله ﷺ ليلة الإسراء وفرض عليه وعلى أمته الصلاة وهذا من المتفق على صحته. (٥)

ثالثاً: بإرسال رسول:

وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا

(١) سورة القصص: آية ٣٠.
(٢) سورة الأعراف: الآيات ١٤٣، ١٤٤.
(٣) سورة النساء: آية ١٦٤.
(٤) سورة البقرة: آية ٢٥٢.
(٥) انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، البخارى ومسلم ج١ ص ٣٩، ٤٢.

يَشَآءُ ﴾[1] ويكون على ثلاث كيفيات:

الكيفية الأولى: في صورة بشرية:

وفي صورة رجل من العرب يسمى "دحية الكلبى" كان يأتي جبريل عليه السلام للرسول ﷺ فيعلم يقيناً أنه جبريل، ويراه الصحابة الحاضرون مجلس الرسول ﷺ ويسمعون قوله ولا يعرفون حقيقته، كما في حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبى ﷺ عن الإيمان والإحسان وعن الساعة[2].

وقد وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه هيئة جبريل التي جاء إلى الرسول ﷺ عليها فقال: " بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه.. وفي أخر الحديث قال رسول الله ﷺ لعمر أتدرى من السائل ؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"[3].

وقد وصف رسول الله ﷺ هذه الحالة الإنسية للملك حين سأله الحارث ابن هشام رضي الله عنه: "كيف يأتيك الوحي يا رسول الله ؟، فقال:... وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول..."[4].

وقد ذكر لنا القرآن الكريم في قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أن الملائكة كانت تتمثل لهم في صور البشر فإبراهيم عليه السلام يظن أن ضيفه من الملائكة بشراً ويقدم لهم طعاماً ويتوجس منهم خوفاً حين لم يقربوا الطعام كما قال سبحانه: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ

(١) سورة الشورى: آية ٥١.
(٢) انظر البخارى ج١ ص ١٩، ٢٠ كتاب الإيمان وانظر اللؤلؤ والمرجان ج١ ص ٢.
(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج١ ص ١٥٧، ١٦٠.
(٤) انظر صحيح البخارى ج١ ص ٣.

سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١).

ولوط عليه السلام لا يعرف الملائكة المرسلين إليه لأنهم على صورة بشر لا يعرفهم، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢).

والسيدة مريم عليها وعلى ابنها السلام يتمثل لها جبريل بشراً قال سبحانه: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾ (٣).

الكيفية الثانية: في صورته الملائكية:

وفي هذه الصورة يكون جبريل عليه السلام على صورته الأصلية وهيئته الحقيقية الملائكية التي برأه الله عليها، ولم يأت جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ على هذه الحالة إلا مرتين هما المشار إليهما على الأرجح في قوله عز من قائل: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ * عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾(٤).

وقد قالت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها تعالى عنها: "ولكنه رأي – أي رسول الله ﷺ – جبريل عليه السلام في صورته مرتين. وكانت المرة الأولى في بداية الوحي بعد حراء" (٥). وقد حدث عنها رسول الله ﷺ بقوله: "بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه"، وفي رواية لمسلم: "فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض"، وفي رواية أخرى لمسلم: "فأخذتني رجفة شديدة" ثم قال ﷺ: "فرجعت إلى خديجة فقلت زملوني فأنزل الله تعالى: (يا أيها المدثر..)، فقوله ﷺ

(١) سورة الذاريات: الآيات ٢٤: ٢٨.
(٢) سورة هود: آية ٧٧.
(٣) سورة مريم: آية ١٧.
(٤) سورة النجم: الآيات ١٣: ١٥.
(٥) انظر صحيح البخارى ج٦ ص ١٧٦.

فرعبت منه يفيد أنه رآه على صورته الحقيقية وهي صورة لفرط عظمتها تبعث على الروع(١).

أما الرؤية الثانية فكانت ليلة الإسراء والمعراج، ويروى عنها عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ "رأي جبريل له ستمائة جناح"(٢).

وقد ذكر ابن مسروق ﷺ هاتين الكيفيتين في حديثه مع عائشة قال: "كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة (وهي كنية مسروق) ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً رأي ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣)، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤). فقالت: أنا أول هذه الأمة من سأل ذلك رسول الله ﷺ فقال: " إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته متهبطاً من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض ". وقالت: أو لم تسمع أن الله ﷻ يقول ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٥) أو لم تسمع أن الله ﷻ يقول : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ (٦). قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (٧). قالت: ومن زعم أنه يخبرها بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى

(١) انظر صحيح البخارى ج١ ص ٤، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ج٢ ص ٢٠٦: ٢٠٨.
(٢) انظر صحيح البخارى ج٦ ص ١٧٦، وتفسير ابن كثير ج٤ ص ٨.
(٣) سورة التكوير: آية ٢٣.
(٤) سورة النجم: آية ١٣.
(٥) سورة الأنعام: آية ١٠٣.
(٦) سورة الشورى: آية ٥١.
(٧) سورة المائدة: آية ٦٧.

يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] [2].

الكيفية الثالثة: مجئ الملك على حالة غير مرئية:

كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ كثيراً بحالته المستترة فلا يراه أحد، غير أن هناك أمارات كانت تصحب مجئ الملك تدل عليه، وقد كانت هذه الحالة هي أشد حالات نزول الوحي على الرسول ﷺ، ويقول ﷺ عن هذه الحالة حينما سأله عنها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "هل تحس بالوحي ؟ فقال: "أسمع صلاصل، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تقبض"[3].

يقول مناع القطان: "والصوت القوى يثير عوامل الانتباه فتهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره، فإذا نزل الوحي بهذه الصورة على الرسول ﷺ نزل عليه وهو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه وقد يكون هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة، وقد يكون صوت الملك نفسه في أول سماع الرسول له. والهيئة التي يظهر فيها جبريل بصورة رجل لا يتحتم فيها أن يتجرد من روحانيته، ولا يعنى أن ذاته انقلبت رجلاً. بل المراد أنه يظهر بتلك الصورة البشرية أنساً للرسول البشرى، وهي تحتاج إلى سمو روحي من رسول الله يتناسب مع روحانية الملك فكانت أشد الحالات عليه"[4].

وفي الصحيح "أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه[5]. وقيل: إنه إنما

---

(١) سورة النمل: آية ٦٥.

(٢) صحيح مسلم ١ / ١١٠ وبرقم ١٧٧ في ط عبد الباقى، وانظر صحيح البخارى ٦ / ١١٧.

(٣) مسند أحمد ٢ / ٢٢٢.

(٤) مباحث في علوم القرآن ص ٣٩ باختصار.

(٥) انظر البخارى: بدء الوحي، رقم ٢ ومسلم في الفضائل، باب: طيب عرق النبى ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي ن رقم ٢٣٣٣.

كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد وتهديد"[١].

وكان أمر هذه الظاهرة لا يخفي على أحد ممن ينظرون إليه. فكانوا – كما تروى الأحاديث الصحيحة ذلك – يرونه قد أحمرَّ وجهه فجأة وأخذته البُرَحاء[٢] حتى يتفصد جبينه عرقاً في اليوم البارد، ويثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ الجالس إلى جانبه[٣] وحتى لو كان راكباً لبركت به راحلته، وكانوا مع ذلك يسمعون عند وجهه أصواتاً مختلفة تشبه دوى النحل.. ثم لا يلبث أن تسرى عنه تلك الشدة فإذا هو يتلو قرآنا جديداً وذكراً محدثاً.. ثم يتحدث عن سر هذه الظاهرة قائلاً: وكذلك فليؤمنوا بأن نور هذا القمر النبوى إنما كان شعاعاً منعكساً من ضوء تلك الشمس التي يرون آثارها وإن كانوا لا يرونها. نعم إنهم لم يروها بأعينهم طالعة فوق رابعة النهار، ولم يسمعوا صوتها بآذانهم جرساً مفهوماً وكلاماً يفقهه الناس، ولكنهم كانوا يرون قبساً منها في الجبين، وكانوا يسمعون حسيسها حول الوجه الكريم. وإن في ذلك لهدى للمهتدين[٤].

❁ ❁ ❁

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ١٤٢.

(٢) برحاء الحمى: شدة أذاها.

(٣) صحيح البخارى ٦ / ٤٠ في تفسير سورة النساء في نزول قوله تعالى: (لا يستوى القاعدون من المؤمنين). وانظر فتح البارى ١ / ٤٧٩، وأبو داود ٣ / ١٧، والترمذى ٤ / ٩٢، والنسائى ٦ / ٩. وانظر معالم السنن للخطابى ٣ / ٣٦٨.

(٤) انظر النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٦٢ طبعة العروبة بالقاهرة ١٩٦٠ م.

المبحث الثالث
فتور الوحي وانقطاعه

فتور الوحي وانقطاعه

هذا بحث سكت عنه الكثير من الباحثين في علوم القرآن، على أن نسبه إلى مباحث السيرة أقرب منها إلى علوم القرآن، لكنى أرى أن نسبه إلى مباحث علوم القرآن أولى، ويمكن أن يُقال: أن السيرة قد تناولته من الجانب التاريخي، وعلوم القرآن تناوله من ناحية الوحي وما يتعلق به.

وقد أثبت المفسرون والمحدثون والمؤرخون للسيرة النبوية أن الوحي فتر وانقطع عن النزول في ثلاثة أوقات سميت بفترة فتور الوحي أو انقطاع الوحي. وهذه الأوقات هي:

١ – بعد نزول فواتح "العلق "حتى نزول فواتح "المدثر ".

٢ – عند وقوع حادثة الإفك.

٣ – قبل نزول قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ [(١)]، وأيضاً سورة الضحى.

فترة الانقطاع الأولى:

أما عن فترة الانقطاع الأولى والتي كانت بعد نزول فواتح "العلق" حتى نزول فواتح "المدثر" فيدل عليها ما رواه ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: "انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم أخ أبيها، وكان أمرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب العبراني (العربي) ويكتب من الإنجيل بالعبرانية (بالعربية) ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام، ياليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك

(١) سورة مريم: آية ٦٤.

أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي". (١)

واختلف العلماء في تحديد أمد فترة الانقطاع هذه اختلافاً كبيراً...

فقيل: ثلاثة أعوام.

وقيل: عامان ونصف.

وقيل: ستة أشهر.

وقيل: أربعون يوماً.

وقيل: خمسة وعشرون يوماً.

وقيل: خمسة عشر يوماً.

وقيل: اثنتا عشرة ليلة.

وقيل: ثلاثة أيام(٢).

ولم يرجح أحد من المفسرين المدة التي انقطع فيها الوحي؛ حتى أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "احتبس الوحي خمسة عشر يوماً أو نحوها"(٣).

غير أنه وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين، وبه جزم ابن إسحاق(٤).

فترة الانقطاع الثانية:

وقد كان الانقطاع هنا في قصة الإفك حيث كان رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الغزو مقيماً على المريسيع – وهو ماء في ناحية بنى المصطلق – وفي هذه الغزوة كانت قصة الإفك وملخصها: أن عائشة رضي الله عنها كانت قد خرج بها رسول الله ﷺ معه في هذه الغزوة بقرعة أصابتها، وكانت تلك عادته مع نسائه، فلما رجعوا من الغزوة نزلوا في بعض المنازل، فخرجت عائشة لحاجتها،

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ١ / ٢، ٣ مع اختلاف يسير في اللفظ في كتابي التفسير وتعبير الرؤيا.

(٢) تفسير زاد المسير: ٤/ ٢٨٣.

(٣) تفسير التحرير والتنوير:

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١/ ١٦٤.

ففقدت عقداً لأختها كانت أعارتها إياه، فرجعت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه في وقتها، فجاء النفر الذين كانوا يُرِّحلون هودجها فظنوها فيه فحملوا الهودج، ولا ينكرون خفته، لأنها رضي الله عنها كانت فتية السن لم يغشها اللحم الذي كان يثقلها، وأيضاً فإن النفر لما تساعدوا على حمل الهودج لم ينكروا خفته، ولو كان الذي حمله واحداً أو اثنين لم يخف عليهما الحال، فرجعت عائشة إلى منازلهم، وقد أصابت العقد، فإذا ليس به داع ولا مجيب، فقعدت في المنزل، وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها، والله غالب على أمره، يدبر الأمر فوق عرشه كما يشاء، فغلبتها عيناها، فنامت فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله ﷺ؟ وكان صفوان قد عرس في أخريات الجيش لأنه كان كثير النوم، فلما رآها عرفها، وكان يراها قبل نزول الحجاب، فاسترجع وأناخ راحلته، فقربها إليها، فركبتها، وما كلمها كلمة واحدة، ولم تسمع منه إلا استرجاعه، ثم سار بها يقودها، حتى قدم بها، وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة، فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته، وما يليق به، ووجد الخبيث عدو الله متنفساً، فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكى الإفك، ويستوشيه، ويشيعه، ويذيعه، ويجمعه، ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه، فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، ثم استشار أصحابه – لما استلبث الوحي طويلاً – في فراقها، فأشار عليه علىّ ﷺ أن يفارقها، ويأخذ غيرها، تلويحاً لا تصريحاً، وأشار عليه أسامة وغيره بإمساكها، وأن لا يلتفت إلى كلام الأعداء، فقام على المنبر يستندر[1] من عبد الله بن أبى، فأظهر أسيد ابن خضير سيد الأوس رغبته في قتله، فأخذت سعد بن عبادة – سيد الخزرج وهي قبيلة ابن أبى – الحمية القبلية، فجرى بينهما كلام تثاور له الحيَّان، فخفضهم رسول الله ﷺ حتى

(١) ندر نادر من الجبل إذا خرج ونتأ. ومن المجاز: أسمعني النوادر، وهذا كلام نادر: غريب خارج عن المعتاد، أساس البلاغة ١ / ص ٤٦٧.

سكتوا وسكت.

أما عائشة: فلما رجعت مرضت شهراً، وهي لا تعلم عن حديث الإفك شيئاً، سوى أنها كانت لا تعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كانت تعرفه حين تشتكى، فلما نقهت خرجت مع أم مسطح إلى البراز ليلاً، فعثرت أم مسطح في مرطها، فدعت على ابنها، فاستنكرت ذلك عائشة منها، فأخبرتها الخبر، فرجعت عائشة واستأذنت رسول الله ﷺ؛ لتأتى أبويها وتستيقن الخبر، ثم أتتهما بعد الإذن حتى عرفت جلية الأمر، فجعلت تبكى فبكت ليلتين ويوماً، لم تكن تكتحل بنوم، ولا يرقأ لها دمع، حتى ظنت أن البكاء فاتق كبدها، وجاء رسول الله ﷺ في ذلك، فتشهد وقال: أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغنى كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه.

وحينئذ قلص دمعها، وقالت لكل من أبويها أن يجيبا، فلم يدريا ما يقولان، فقالت: والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إنى بريئة – والله يعلم أنى بريئة – لا تصدقونى بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم إنى بريئة – لا تصدقونى بذلك، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبى يوسف قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

ثم تحولت واضطجعت، ونزل الوحي ساعته فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما الله فقد برأك، فقالت لها أمها: قومى إليه.. فقالت عائشة – إدلالاً ببراءة ساحتها، وثقة بمحبة رسول الله ﷺ: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله.

والذي أنزله الله بشأن الإفك هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ

(١) سورة يوسف: آية ١٨.

﴿ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [1] الآيات العشر.

وجلد من أهل الإفك مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، جلدوا ثمانين، ولم يجلد الخبيث عبد الله بن أبيّ مع أنه رأس أهل الإفك، والذي تولى كبره، إما لأن الحدود تخفيف لأهلها، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة، وإما للمصلحة التي ترك لأجلها قتله[2].

وهكذا وبعد شهر انقشعت سحابة الشك والارتياب والقلق والاضطراب عن جو المدينة، وافتضح رأس المنافقين افتضاحاً لم يستطع أن يرفع رأسه بعد ذلك، قال ابن اسحاق: وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه. فقال رسول الله ﷺ لعمر: كيف ترى ياعمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لى اقتله لأرعدت له أنف، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى[3].

فترة الانقطاع الثالثة:

وقد كانت هذه الفترة قبل نزول قوله تعالى في سورة مريم: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [4]، وقبل نزول سورة الضحى.

يقول الإمام البغوى في تفسيره: "كان هذا الجواب لمحمد ﷺ "[5].

---

(١) سورة النور: آيات الإفك من ١١: ٢١.

(٢) صحيح البخارى ١ / ٣٦٤، ٢ / ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨. وزاد المعاد بشمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب المعروف بابن القيم: ٢ / ١١٣، ١١٤، ١١٥ المطبعة المصرية الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ – ١٩٢٨ م.

(٣) السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى ٢ / ٢٩٣ مطبعة مصطفي البابى الحلبى وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م. والرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفورى ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥ المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

(٤) سورة مريم: آية ٦٤.

(٥) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى

أما الأسباب فقد تعددت وهي:

١ – أن النبي ﷺ قال: "يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا "فنزلت وفي رواية "ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ".

٢ – قال مجاهد أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال: لعلى أبطأت، قال: قد فعلت، قال: ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون، ولا تقصون أظافركم، ولا تنقون براجمكم، قال: وما نتنزل إلا بأمر ربك. قال مجاهد: فنزلت هذه الآية.

٣ – قال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبى احتبس جبريل عليه السلام حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر ما يجيبهم ورجا أن يأتيه جبريل عليه السلام بجواب فسألوه فأبطأ عليه فشق على رسول الله ﷺ مشقة شديدة فلما نزل جبريل عليه السلام قال له: أبطأت علىّ حتى ساء ظنى واشتقت إليك، فقال جبريل عليه السلام: إنى كنت إليك أشوق، ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست [(١)]، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ** ﴾.

أما عن نزول سورة الضحى فيقول الإمام ابن الجوزى في تفسيره "اتفق المفسرون على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدة "[(٢)].

أما عن أسباب انقطاعه فقد تعددت أيضاً الأقوال فيها ومنها:

الشافعى ج٣ ص ٢٠٢.

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٢٤٧، ٢٤٨. دار الكتاب العربى الطبعة السادسة ١٤١٤ هـ – ١٤٩٤ م. وأسباب النزول للسيوطى ص ١٧١ طبعة نصير بمصر ١٩٨٣ م .

(٢) تفسير زاد المسير في علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على ابن محمد الجوزى ج٨ ص ٢٦٦ طبعة دار الفكر ١٩٨٧ م. وتاريخ القرآن للأستاذ ابراهيم الأبيارى ص ٢٠ طبعة دار القلم ١٩٦٥ م. وساعات حرجة في حياة الرسول للأستاذ عبد الوهاب حموده ص ٢٨ طبعة المكتبة الثقافية.

١ – عن قيس بن جندب قال: قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ: "ما أرى شيطانك إلا ودعك "فنزل: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ (١)(٢).

٢ – وأخرج الطبراني وابن أبى شيبة، عن حفص بن ميسرة، عن أمها – وكانت خادم رسول الله ﷺ – أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ، فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: "يا خولة، ما حدث في بيت رسول الله؟ جبريل لا يأتيني ". فقلت في نفسي: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير، فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته – وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة – فأنزل الله (والضحى) إلى قوله (فترضي)(٣).

والراجح هو الأول لقول السيوطى: "إن ذَكَرَ واحد سبباً وآخر سبباً غيره، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر، فالصحيح المعتمد "(٤).

وقال ابن حجر في شرح البخاري: "قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يُعرف فالمعتمد ما في الصحيح "(٥) وبالتالي فإن ما ذكر من أسباب أخرى لا يترجح أمام السبب المذكور في الصحيح قياساً على ما ذكره السيوطى وابن حجر.

الحكمة من فتور الوحي:

---

(١) سورة الضحى: الآيات ١: ٣.

(٢) البخارى: التفسير، باب تفسير سورة (الضحى) رقم ٤٦٦٧. ومسلم: الجهاد والسير، باب: ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين رقم ١٧٩٧.

(٣) ذكر ابن حجر هذه الرواية في الإصابة ٧ / ٦٢٨ عند ترجمته لخولة، وقال : قال أبو عمر (ابن عبد البر) : روى حديثها حفص بن سعيد عن أبيه عنها في تفسير : "والضحى" وليس إسناد حديثها مما يحتج به...

(٤) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ١٠٢.

(٥) انظر شرح حديث البخارى باب تفسير سورة الضحى في فتح البارى ٨ / ٧١٠.

عند تحليل فترة انقطاع الوحي نجد أن الحق تبارك وتعالى لم يجعل الوحي دائم الاتصال بالرسول ﷺ، وإنما أراد قطعه مدة من الزمن، وما كان ذلك إلا لعظم الحدث وجلاله.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن هناك تغيرات وحالات كانت تعرض لرسول الله ﷺ عند نزول الوحي؛ لأن الوَحْي من مَلَك له طبيعته التكوينية التي تختلف وطبيعة النبي البشرية، فلكي يتم اللقاء بينهما مباشرة لا بُدَّ أنْ يحدث بينهما نوعٌ من التقارب في الطبيعة، وذلك التقارب كان يتم إمّا بتحول الملَك من صورته الملائكية إلى صورة بشرية، أو بنقل رسول الله ﷺ من حالته البشرية إلى حالة ملائكية ارتقائية؛ حتى يتهيأ جسدياً للتلقّي عن الملك.

فالوحي إذن كان شاقاً على رسول الله ﷺ؛ خاصة في أوله، فأراد الحق سبحانه أنْ يُخفِّف عن رسوله هذه المشقة، وأنْ يؤخر عنه نزول الوحي فترة ليريحه جسدياً وبدنياً؛ ذلك من ناحية، وليُشوِّقه للوحي من ناحية أخرى.

بالإضافة إلى أن تأخر الوحي يجدد طاقته، ويزيده شوقاً للقاء جبريل من جديد، والشَّوْق إلى الشيء يُهوِّن الصعاب في سبيله؛ حتى أنه بسبب هذا التأخر كان يتشوق للقاء الملك وتلقى الوحي مهما كانت التكاليف المصاحبة له؛ فأصبح ﷺ في أعظم الشوق للمناجاة.

وقد تحقق المراد؛ فلما جاءه الوحي مرةً أُخرى بالقرآن كان ﷺ في أكمل حال يبلغ رسالة ربه على أكمل وجه.

فقام الحبيب ﷺ ولم يقعد عشرين سنة لم يعرف طعم الراحة، ولم يذق طعم النوم، ولم يهدأ؛ وإنما انطلق على قدميه حاملاً نور الله ﷻ إلى هذه البشرية؛ ليخرجها من ظلمات الشرك وأوحال الوثنية، إلى أنوار التوحيد والإيمان برب البرية جل وعلا.

المبحث الرابع
الأدلة على وقوع الوحي

الأدلة على وقوع الوحي

مازال الكثير من الناس قديما وحديثاً ينكرون حقيقة الوحي، ولا يستسيغونه ويلقون أمامه بكل ما لديهم ليبطلونه ويجحدونه، لذا أرى أنه يجب الوقوف على إمكانية وقوع الوحي من الناحية العلمية ومن الناحية العقلية لنرى كيف نرد على منكريه وجاحديه.

أولاً: الأدلة العلمية على وقوع الوحي

وهذه الأدلة نرد بها على الذين لا يستندون إلا إلى الحسيات ولا يعترفون إلا بالماديات.

الدليل الأول: التنويم الصناعى: أو التنويم المغناطيسى، وهو من المقررات العلمية الثابتة التي اعترف بها العلماء علمياً؛ بعد أن اختبروا به الآلاف من الخلق واطمأنوا إلى تجاربه وأخيراً أثبتوا بوساطته ما يأتي:

١ – أن للإنسان عقلاً باطناً أرقى من عقله المعتاد كثيراً.

٢ – أنه وهو في حالة التنويم يرى ويسمع من بعد شاسع. ويقرأ من وراء حجب، ويخبر عما سيحدث، مما لا يوجد في عالم الحس أقل علامة لحدوثه.

٣ – أنه قد يصل إلى درجة تخرج فيها روح الوسيط من جسده، ويصبح كأنما هو ميت.

٤ – أثبتوا من وراء ذلك أن هناك روحاً.

٥ – أن الروح مستقلة عن الجسم كل الاستقلال.

٦ – أن الروح لا تنحلُّ بانحلاله.

٧ – أن للتنويم درجات بعضها فوق بعض يزداد العقل الباطن سمواً بتنقله فيها[١].

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ١/ ٥٩ طبعة دار

ويؤكد الشيخ الزرقانى أن تجربة من تجارب التنويم المغناطيسي – المعروفة لدى الجميع – تُقرب إلينا إمكانية الوحي وتثبت أنه يمكن أن يتخذ سلاحاً مسموماً لتغيير عقيدة الشخص ودينه..

فهل يعقل أن المخلوق يستطيع أن يؤثر في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير بواسطة التنويم المغناطيسى، ثم لا يستطيع مالك القوى والقدر أن يؤثر في نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي؟ كلا ثم كلا إنه سبحانه على ما يشاء قدير(١).

الدليل الثاني: أن ما شهده العقد الأخير من ظهور التليفون، واللاسلكي، وكيف أن المرء أصبح يستطيع أن يتكلم بين الجمع مع غائب عنهم لا يرونه، ولا يسمعه إلا هو، ومع ذلك لا ينكر عليه أحدٌ ذلك، أليس في هذا تقريباً للوحي، فإن العلم بهذا الاختراع وجه صفعة قوية لهؤلاء المشككين؛ إذ لا فرق بين كلام هذا الشخص أو ذاك مع غائب لا يسمعه غيره، وكلام النبي ﷺ لغائب عن الجميع ولا يسمعه غيره ويطلب منهم أن يؤمنوا به.

الدليل الثالث: ما يسمعه الناس الآن من الأحاديث المسجلة التي تحملها موجات الأثير، عابرة السهول والبحار، دون رؤية ذويها، بل وبعد وفاتهم أيضاً.

الدليل الرابع: أننا نشاهد بعض الحيوانات الدنيا تأتى بعجائب الأنظمة والأعمال، مما تخيل معه أن يكون ذلك صادراً عن تفكير لها، أو غريزة ساذجة فيها، ومما يجعلنا نوقن بأنها لم تصدر في ذلك إلا عن إرادة عليا توحي إليها وتلهمها تلك العجائب والغرائب، من الصناعات والأعمال، والدقة والاحتيال.

وإذا صح هذا في عالم الحيوان، فهو أولى أن يصح في عالم الإنسان، حيث استعداده للاتصال بالأفق الأعلى يكون أقوى، وأخذه يكون أتم، ومن ذلك ما يكون بطريق الوحي.

إحياء التراث العربى بيروت – لبنان.

(١) مناهل العرفان للزرقانى ١/ ٦٠، ٦٢ بتصرف.

وإن شئت أمثلة لتلك الحيوانات التي ضربناها لك مثلاً في إلهاماته العلوية، فدونك النمل والنحل، وما تأتيان من ضروب الأعمال، ودقة النظام[1].

ثانياً: الدليل العقلي على وقوع الوحي

أما الدليل العقلي على إمكانية وقوع الوحي أن هذه الظاهرة العجيبة ليست أقل إمكانية من وقوع معجزات الأنبياء والرسل فحينما جاء موسى عليه السلام بمعجزته عصا من الخشب، لا روح فيها ولا حركة، ولا لين ولا رطوبة، ثم ألقاها باسم الذي أرسله؛ فإذا هي حية تسعى، بينما الأمة التي تحداها بذلك كانت قد تفوقت في السحر وحذقته، وضربت فيه بأوفر سهم وأوفي نصيب، خصوصاً أنهم أمة وهو فرد، وهم بارعون في السحر وهو مع نشأته فيهم لم يُعرف يوما من الأيام بمعالجة السحر، وهم معتزون بعددهم وعُدتهم وسلطانهم، وهو خِلو من هذه الأسباب والمظاهر![2].

وها هي أم موسى عليه السلام قد أوحى الله إليها بإلقاء ولدها في اليم، وأعلمها أنه سيرده إليها ويجعله نبياً مرسلاً؛ وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح أنها لو لم تكن واثقة بوحي الله عز وجل لها لكانت بإلقائها ولدها في اليم في غاية الجنون.

ولا يختلف هذا الوحي عن الوحي الوارد على إبراهيم عليه السلام في الرؤيا في ذبح ولده؛ فإن إبراهيم عليه الصلاة و السلام لو لم يكن واثقاً بصحة الوحي الوارد عليه من ذبح ولده لما أقدم على هذا الفعل.

وقل مثل ذلك في معجزة كل رسول أرسله الله، وقل أكثر وأكثر من ذلك في خاتم الأنبياء سيدنا ومولانا محمد ﷺ وما جاء به من آيات بينات، ومعجزات واضحات، وحسبك القرآن وحده برهاناً ساطعاً يتحدى العالم بما فيه من أسرار الفصاحة والبيان، والعلوم والمعارف، وأنباء الغيب وشواهد الحق.

---

(١) انظر مناهل العرفان: ١/ ٧٠.

(٢) سورة طه: الآيات ٧٢: ٧٦.

أضف إلى ذلك أن الذين شوفهوا بخطابه عند مهبط الوحي كانوا أئمة الفصاحة، وفرسان البلاغة، بضاعتهم الكلام والتفنن في إجادته[1].

(١) مناهل العرفان للزرقانى ١/ ٧٦ باختصار وتصرف.

المبحث الخامس
شبه الجاحدين على القرآن (الوحي المنزل على رسول الله ﷺ) والرد عليها

شبهه الجاحدين على القرآن الكريم (الوحي المنزل على رسول الله ﷺ) والرد عليها

إن الوحي المنزل على الرسول ﷺ من قبل الله ﷻ نوعان...

الأول: هو القرآن العظيم.

والثاني: السنة النبوية المطهرة.

وقد تمادى الجهال قديماً وحديثاً في إثارة الشبه الواهية حول الوحي بنوعيه، وأكثر ما أثاروه كان متعلقاً بالقرآن الكريم؛ للتشكيك في صدقه، وفيما يلي نعرض لبعض تلك الشبه ونرد إن شاء الله عليها.

الشبهة الأولى:

زعم البعض أن القرآن الكريم من عند محمد ﷺ ابتكر معانيه، وصاغ أسلوبه، وليس وحياً يوحى.

الرد على الشبهة:

هذا زعم باطل، فإنه ﷺ إذا كان يدعى لنفسه الزعامة ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته فلا مصلحة له في أن ينسب ما يتحدى به الناس إلى غيره. وكان في استطاعته أن ينسب القرآن لنفسه، ويكون ذلك كافياً لرفعة شأنه، والتسليم بزعامته، ما دام العرب جميعاً على فصاحتهم قد عجزوا عن معارضته، بل ربما كان هذا أدعى للتسليم المطلق بزعامته لأنه واحد منهم أتى بما لم يستطيعوه.

ثم أنه لو كان الوحي تكلفاً من الرسول ﷺ وابتكاراً لكان طوع يمينه، فكان لا يشاء يوماً أن يأتى بقرآن جديد إلا جاء به من هذا الطريق الذي اعتاد في تحضيره[1].

(١) النبأ العظيم: ص ٧٢.

ولا يقال إنه أراد بنسبة القرآن إلى الوحي الإلهي أن يجعل لكلامه حرمة تفوق كلامه حتى يستعين بهذا على استجابة الناس لطاعته وإنفاذ أوامره، فإنه صدر عنه كلام نسبه لنفسه فيما يسمى بالحديث النبوى ولم ينقص ذلك من لزوم طاعته شيئا، ولو كان الأمر كما يتوهمون لجعل كل أقواله من كلام الله تعالى.

وهذا الادعاء يفترض في رسول الله ﷺ أنه كان من أولئك الزعماء الذين يعبرون الطريق في الوصول إلى غايتهم على قنطرة من الكذب والتمويه، وهو افتراض يأباه الواقع التاريخى في سيرته العطرة ﷺ، وما اشتهر به من صدق وأمانه شهد له بهما أعداؤه قبل أصدقائه.

ومما شهد به الأعداء لمحمد ﷺ "أنه كان سليم الفطرة، كامل العقل، كريم الأخلاق، صادق الحديث، عفيف النفس، قنوعاً بالقليل من الرزق، غير طموع في المال، ولا جنوح إلى الملك، ولم يعن بما كان يعنى به قومه من الفخر والمباراة في تحبير الخطب ولا قرض الشعر، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية، كالخمر والميسر، وأكل أموال الناس بالباطل"[1] وبهذا كله جزموا بأنه ﷺ كان صادقاً فيما ادعاه.

ولقد كان ﷺ تنزل به النوازل والأزمات التي تتطلب حلاً، ولكنه لا يجد في شأنها وحياً يقرؤه على الناس[2].

ولقد اتهم المنافقون زوجه عائشة بحديث الإفك، وهي أحب زوجاته إليه، واتهامها يمس كرامته وشرفه، وأبطأ الوحي، وتحرج الرسول ﷺ وتحرج صحابته معه حتى بلغت القلوب الحناجر، وبذل جهده في التحرى والاستشارة، ومضى شهر بأكمله، ولم يزد على أن قال لها آخر الأمر "أما إنه بلغنى كذا وكذا، فإن

(١) الوحي المحمدى ص ٣٩.
(٢) النبأ العظيم ص ١٦.

كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله"[1] وظل هكذا إلى أن نزل الوحي ببراءتها، فماذا كان يمنعه لو أن القرآن كلامه من أن يقول كلاماً يقطع به ألسنة المتخرصين، ويحمى عرضه ؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

وفي مرات أخرى كان يجيئه الوحي على غير ما يحبه ويهواه ويخطئه في الرأى، ويأذن له في شئ لا يميل إليه، وذلك حينما استأذن جماعة في التخلف عن غزوة تبوك، وأبدوا أعذاراً، وكان منهم من انتحل هذه الأعذار من المنافقين وأذن لهم، فنزل القرآن الكريم معاتباً له لخطأ رأيه ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ﴾ٱلْكَٰذِبِينَ[3].

ولو كان هذا العقاب صادراً من وجدانه تعبيراً عن ندمه حين تبين له فساد رأيه لما أعلنه عن نفسه بهذا التعنيف الشديد والعتاب القاسى.

ونظير هذا معاتبته ﷺ في قبول الفداء من أسرى بدر ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[4].

وهناك أيضا وحياً منزلاً يعاتبه في توليه عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه اهتماماً بنفر من أكابر قريش في دعوتهم إلى الإسلام ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ

(١) سبق تخريجه ص ٤٥: ٤٧ من هذا البحث.
(٢) سورة الحاقة: الآيات ٤٤: ٤٧.
(٣) سورة التوبة: آية ٤٣.
(٤) سورة الأنفال: الآيات ٦٧، ٦٨.

﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ ﴾ (١).

وأيضا في قصة زواجه ﷺ من زينب بنت جحش قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۝٣٧ ﴾ (٢).

يقول الشوكانى: "كان النبي ﷺ قد تبنى زيد بن حارثة، فكان يقال: زيد بن محمد، حتى نزل قوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليه نساء من تبنوه، كما تحرم عليه نساء أبنائهم حقيقة.

فأخبرهم الله أن نساء الأدعياء حلال لهم ﴿ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ بخلاف ابن الصلب فإن امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ أى كان قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضاء ماضياً مفعولاً لا محالة"(٣).

وكان النبي ﷺ يكتم أمر الله تعالى له بالزواج من زينب حرجاً من الناس وقولهم تزوج امرأة ابنه، وقد روى الترمذى عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية"(٤).

الشبهة الثانية:

زعم البعض أن النبي ﷺ كان له من حدة الذكاء، ونفاذ البصيرة، وقوة الفراسة، وشدة الفطنة، وصفاء النفس، وصدق التأمل، ما يجعله يدرك مقاييس

---

(١) سورة عبس: الآيات ١: ١١.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٧.

(٣) تفسير فتح القدير ج ٤ ص ٢٧٧.

(٤) الترمذى في التفسير (٣٢٠٧) وقال: " هذا حديث غريب "، (٣٢٠٨) وقال: " هذا حديث حسن صحيح ".

الخير والشر، والحق والباطل، بالإلهام، ويتعرف على خفايا الأمور بالكشف والوحي النفسى، ولا يخرج القرآن عن أن يكون أثراً للاستنباط العقلى، والإدراك الوجدانى عبر عنه محمد بأسلوبه وبيانه(١).

الرد على الشبهة:

إن المتدبر لآيات الوحي المنزل لا يجد فيه أبداً ما يعتمد على الذكاء أو الاستنباط، ومن الأدلة على ذلك...

١ – أن من القرآن ما هو أنباء وأخبار وقصص من سبق من الأمم والجماعات والأنبياء والأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة، كما يذكر شاهد العيان مع طول الزمن على ذلك. وكما حكت الكتب السماوية السابقة، بما لا يدع مجالاً للإعمال الفكر ودقة الفراسة، ولا ينكر أحد أن الرسول محمد ﷺ لم يعاصر تلك الأمم وهذه الأحداث في قرونها المختلفة، حتى يشهد وقائعها وينقل أخبارها، كما لم يتوارث كتبها ليدرس دقائقها ويروى أنباءها بالإضافة إلى كونه كان أمياً ﷺ لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

ومن هذه الأنباء والأخبار قصة موسى وتكليم رب العالمين له قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ (٢).

وكذلك أهل مدين، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (٣).

وأيضا قصة مريم وكفل زكريا عليهما السلام لها، قال تعالى: ﴿مَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ (٤).

---

(١) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ٤٠.
(٢) سورة القصص: الآيات ٤٤، ٤٥.
(٣) سورة القصص: آية ٤٥.
(٤) سورة آل عمران: آية ٤٤.

قال المفسرون: "إذا تقرر أن الوقوف على تفاصيل تلك الأحوال لا يمكن أن يكون بالحضور عندها من نبينا محمد ﷺ والمشاهدة لها منه، وانتفي أيضا بالأدلة الصحيحة أنه ﷺ لم يتلق ذلك من غيره من البشر ولا علمه معلم منهم، تبين أنه من عند الله سبحانه بوحي منه إلى رسوله بواسطة الملك النازل بذلك"(١).

٢ – أن من القرآن ما هو أنباء وحسابات دقيقة لا يعلمها إلا الدارس البصير. مثال ذلك.. قصة نوح حيث يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٢). وهذا موافق لما جاء في سفر التكوين من التوراة.

وفي قصة أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣). وهي عند أهل الكتاب ثلاثمائة سنة شمسية، والسنون التسع هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية.

فمن أين أتى محمد ﷺ بهذه الدقائق الصحيحة لو لم يكن يوحى إليه وهو الرجل الأمى الذي عاش في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب وإنما جاءته هذه الأنباء فجأة بعد أن بلغ سن الأربعين.

٣ – أن من القرآن ماهو غيبيات تتحدث عن بدء الخلق ونهايته، والحياة الآخرة وما فيها من الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وما يتبع ذلك من الملائكة وأوصافهم ووظائفهم، وهذه معلومات لا مجال فيها لذكاء العقل وقوة الفراسة البتة فمن أين له العلم بها ؟ قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ

(١) تفسير الشوكانى ج٤ ص ١٧٠.
(٢) سورة العنكبوت: آية ١٤.
(٣) سورة الكهف: آية ٢٥.

ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ (١).

٤ – أن من القرآن ما هو أخبار مستقبلية تحكى عن قوة قوم وضعف آخرين، وصعود وهبوط، وعزة وذلة، وبناء ودمار، وتلك هي سنة الله في الكون. (٢) ومن ذلك قوله تعالى عن حرب الفرس والروم: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ (٣).

قال أهل التفسير: غلبت فارس الروم ففرح بذلك كفار مكة وقالوا: الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب. وافتخروا على المسلمين وقالوا: نحن أيضا نغلبكم كما غلبت فارس الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وخرج أبو بكر الصديق ﷺ إلى الكفار وقال لهم: " فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن على فارس على ما أخبرنا بذلك نبينا "وعند رأس سبع سنين ظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وقيل: كان يوم بدر (٤).

فمن أين له ﷺ التنبؤ بذلك ؟ وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن.

وقد كان ﷺ عاجزاً عن إدراك حقيقة ما وقع بين خصمين اختصما عنده أحدهما غنى والآخر فقير، وكان خلقه ﷺ مع الفقير يرى أنه لا يظلم الغنى، فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط في الغنى والفقير وألا يتعجل في حكمه(٥)، فقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾(٦).

(١) سورة المدثر: آية ٣١.
(٢) مباحث في علوم القرآن ص ٤٠: ٤٥ بتصرف وزيادة.
(٣) سورة الروم: الآيات ٢: ٥.
(٤) تفسير معالم التنزيل ج٣ ص ٤٧٥: ٤٧٦ باختصار.
(٥) أسباب النزول للواحدى ص ١٥١. وأخرجه ابن جرير الطبري عن السدي، ٩/ ٣٠٣.
(٦) سورة النساء: آية ١٣٥.

فأين فراسته ﷺ هنا وشدة فطنته ومعرفته بخفايا الأمور ؟

الشبهة الثالثة:

زعم الجاهليون قديماً وحديثاً أن محمداً ﷺ قد تلقى العلوم القرآنية على يد معلم.

قيل: إنه بحيرى الراهب الذي لقيه ﷺ في مدينة بصرى بالشام، وقالوا إنه كان نسطورياً من أتباع آريوس في التوحيد وينكر ألوهية المسيح وعقيدة التثليث، وأن محمداً ﷺ لابد أن يكون علم منه عقيدته.

وقيل: إن ورقة بن نوفل كان من متنصرة العرب العلماء بالنصرانية، وأحد أقارب خديجة وأن محمداً ﷺ أخذ عنه دعوته إلى النصرانية(١).

وقيل: أنه كان في مكة حداد رومى يصنع السيوف وغيرها، فكان النبي ﷺ يقف عنده أحياناً يشاهد صنعته فاتهموه بأنه يتعلم منه(٢).

الرد على الشبهة:

أما كونه ﷺ قد تلقى العلوم القرآنية على يد معلم فهذا حق لا مراء فيه إلا أن المعلم الذي تلقى عنه هو ملك الوحي، فقد نشأ ﷺ أمياً وعاش أمياً، في أمة أمية لم يُعرف فيها أحد يحمل وسام العلم والتعلم، وهذا واقع يشهد به التاريخ، ولا مرية فيه.

أما أن يكون له معلم من غير قومه فإن الباحث لا يستطيع أن يقع في التاريخ على كلمة واحدة تشهد بأنه لقي أحداً من العلماء حدثه عن الدين قبل إعلان نبوته(٣).

وأما ما ادعوه عن تعلمه من بحيرى فافتراء وبهتان أسرفوا فيه وكل ما

(١) الوحي المحمدى ص ٤٩.
(٢) الوحي المحمدى ص ٦٨.
(٣) مباحث في علوم القرآن ص ٤٧.

عرفه وذكره التاريخ الصحيح أنه ﷺ لما بلغ اثنتي عشرة سنة – قيل وشهرين وعشرة أيام – [1] ارتحل به أبو طالب تاجراً إلى الشام، حتى وصل إلى بصرى وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرى، فلما نزل الركب خرج إليهم وأكرمهم بالضيافة، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك وعرف رسول الله ﷺ بصفته، فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال أبو طالب: وما علمك بذلك ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجداً، ولا تسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام خوفاً عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة[2].

أما عن دعواهم أنه عرف الدعوة إلى النصرانية من ورقة بن نوفل فقد ثبت بعد استقصاء المحدثين المؤرخين لكل ما عُرف عن علاقة ورقة بالنبي ﷺ أن خديجة رضي الله عنها أخذته إلى ورقة عقب إخباره إياها بما رآه في حراء، وكان ورقة شيخاً أعمى، وأنه لم يلبث أن توفي بعد ذلك[3].

وأما دعواهم أنه تعلم من حداد رومى فهو أمر لا يستساغ عقلاً فكيف تكون تلك العلوم القرآنية صادرة من رجل لم تعرفه مكة عالماً متفرغاً لدراسة الكتب، بل عرفته حداداً منهمكاً في مطرقته وسندانه، عاميّ الفؤاد، أعجمى اللسان، لا تعدو قراءته أن تكون رطانة بالنسبة إلى العرب [4] ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ص ٧ طبعة جيد برقى بريس دهلى الهند.

(٢) مختصر سيرة الرسول: الشيخ عبد الله بن محمد النجدى ص ١٦ المطبعة السلفية ومكتبتها الروضة بمصر ١٣٧٩ هـ، والرحيق المختوم ص ٤٩، وسيرة ابن هشام: ١ / ١٨٠: ١٨٣.

(٣) الوحي المحمدى ص ٤٩: ٥٠ بتصرف.

(٤) مباحث في علوم القرآن ص ٤٧: ٤٨.

وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (١).

الشبهة الرابعة:

أنه ﷺ استفاد من أسفاره في رحلتى الشتاء والصيف، حيث كان يجتمع بالنصارى كلما مر بصومعة أو بدير للرهبان، فعلم منهم وممن لقيه في مكة نفسها كثيراً من المعلومات عن النبيين والمرسلين الذين بعثهم الله في بنى إسرائيل وغيرهم فتعلقت نفسه بهذه الأخبار ثم سردها بعد ذلك على أنها وحى أوحى إليه.

الرد على الشبهة:

١ – إن محمداً ﷺ لم يذهب مع عمه إلى التجارة في الشام إلا وهو طفل كما تقدم. وقد أعاده إلى مكة قبل إتمام رحلته، ثم سافر إليها في تجارة خديجة وهو شاب مرة واحدة، ولم يتجاوز سوق مدينة بصرى في المرتين، ولم تكن هذه القوافل تضيع شيئاً من وقتها للبحث مع العرب أو الأعراب في طريقها عن أنبائها والتاريخ القديم لبلادها، ولم يعرف عن تجارها أنهم كانوا يعنون بلقاء أحبار النصارى ومباحثتهم في دينهم وكتبهم. فمن أين لكم أن محمداً ﷺ هو الذي كان يشتغل في تلك التجارة بالبحث عن الأمم والتواريخ والكتب والأديان ؟ ويعنى بلقاء رؤسائها والبحث معهم كما يفعل رواد العلم والتاريخ والكتب وجواسيس السياسة في هذا العصر. (٢)

٢ – إن القرآن كما أنه نزل مصدقاً لكتب أهل الكتاب من حيث كونها في الأصل من وحى الله إلى موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم فقد حكم أيضا على أهل هذه الكتب بأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب، أى لا كله. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ

(١) سورة النحل: آية ١٠٣.

(٢) الوحي المحمدى ص ٥٣.

لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١).

فنصت الآية الكريمة على أن القرآن جاء مهيمناً على الكتب السابقة ورقيباً وحاكماً عليها ثم قال تعالى عن إتيانهم نصيباً فقط من الكتاب لا كل الكتاب ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٢).

وفي آية أخرى يذكر سبحانه أنهم نسوا حظا منه قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٣).

ويذكر سبحانه أيضا أنهم حرفوا كلمه عن مواضعه فيقول سبحانه: ﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٤).

فبين بذلك القرآن الكريم أنهم خالفوا واختلفوا في الكثير من مسائل العقائد والأحكام والأخبار، ومثل هذه الأحكام العليا عليهم لا يمكن أن تكون مستمدة من أفراد من الرهبان أو غير الرهبان، أفاضوها على محمد في رحلته إلى الشام، سواء كان عند بعضهم بقية من التوحيد الموسوى والعيسوى الذي كان يقول به بعض أحبارهم، وسواء أكان لدى بعضهم بقية من الأناجيل التي حكمت الكنيسة الرسمية بعدم قانونيتها كإنجيل طفولة المسيح وإنجيل برنابا أم لا، فمحمد ﷺ لم

(١) سورة المائدة: آية ٤٨.
(٢) سورة النساء: آية ٤٤.
(٣) سورة المائدة: آية ١٣.
(٤) سورة البقرة: آية ٧٥.

يعقد في الشام ولا مكة مجمعاً مسيحياً كمجامع الكنيسة للترجيح بين الأناجيل والمذاهب المسيحية، ويحكم بصحة بعضها دون بعض.

إن وقوع مثل هذا منه في تلك الرحلة مما يعلم واضعوا هذه الأخبار ببداهة العقل مع عدم النقل أنه محال عادة، وعلى فرض وقوعه يقال: كيف يمكن أن يحكم بين تلك الأناجيل وتلك المذاهب برأيه في تلك الخلسة التجارية للنظر فيها ويأمن على حكمه الخطأ ؟ وقد صح عنه ﷺ أنه قال لأصحابه في شأن أهل الكتاب " لا تصدقوهم ولا تكذبوهم " يعنى فيما سكت عنه القرآن، لئلا يكون ما كذبوهم فيه مما حفظوا، أو يكون ما صدقوهم به مما نسوا حقيقته، أو حرفوا أو بدلوا. (١)

٣ – أن في القرآن ما هو مخالف للعهدين القديم والجديد وهو مما لا يعلم إلى الآن أن أحداً من اليهود والنصارى قال به، كمخالفة سفر الخروج فيمن تبنت موسى، ففيه أنها ابنة فرعون، وفي القرآن أنها امرأته.

إن ما جاء به محمد أكبر وأعظم من كل ما في الكتب الإلهية ما صح منها وما لم يصح، فالوحي القرآني كان أعلى وأكمل من جميع ما حُفظ عن أنبياء الله ورسله لأنه الخاتم لهم، المكمل لشرائعهم الخاصة والموقوتة (٢).

الشبهة الخامسة:

زعم البعض أن النبي ﷺ كان قد سمع أن الله ﷻ سيبعث نبياً مثل أولئك الأنبياء من العرب في الحجاز كان قد بشر به عيسى المسيح وغيره من الأنبياء، عليهم جميعاً السلام، وأن هذا علق بنفسه فتعلق رجاؤه بأن يكون هو ذلك النبي الذي آن أوانه، فانقطع إلى عبادة الله تعالى، وتوجه إليه في خلوته بغار حراء، فقوى إيمانه، وسما وجدانه، فاتسع محيط تفكيره، وتضاعف نور بصيرته، فاهتدى عقله الكبير إلى الآيات البينات في ملكوت السموات والأرض على

(١) الوحي المحمدى ص ٧١: ٧٣ باختصار.
(٢) الوحي المحمدى ص ٧٣.

وحدانية مبدع الوجود، وسر النظام السارى في كل موجود، بما صار به أهلاً لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وما زال يفكر ويتأمل، وينفعل حتى أيقن أنه النبي المنتظر، الذي بعثه الله لهداية البشر، فتجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية ثم قوى حتى صار يتمثل له الملك ويلقنه الوحي في اليقظة(١).

الرد على الشبهة:

١ – أنه ﷺ لم يرد عنه أى خبر في الأحاديث الصحيحة أنه كان يرجو أن يكون هو النبي المنتظر الذي كان يتحدث عنه بعض علماء اليهود والنصارى قبل بعثته، ولو روى عنه شئ من ذلك لدونه المحدثون لأنهم ما تركوا شيئا بلغهم عنه إلا دونوه كما رووا مثله عن أمية بن الصلت حيث قالوا عنه: " أنه سمع من علماء أهل الكتاب عن قرب ظهور النبي الذي بشر به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، فلبس المسوح تعبداً، وكان يذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية، وحرم الخمر، وتجنب الأوثان، وطمع في النبوة لأنه قرأ في الكتب أن نبياً يبعث بالحجاز، فرجا أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ حسده فلم يسلم "(٢).

ولقد صرح القرآن الكريم بأنه ﷺ لم يكن يرجو هذا ولا يؤمله، قال تعالى:﴿ **وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾ (٣). قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع معناه: لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن(٤).

٢ – أن حديث بدء الوحي الذي أثبته الشيخان في الصحيحين وغيرهما من المحدثين صريح في أنه خاف على نفسه لما رأى الملك أول مرة، ولم تجد زوجته خديجة بنت خويلد العاقلة المفكرة وسيلة يطمئن بها على نفسه وتطمئن هي عليه إلا استفتاء أعلم العرب بهذا الشأن وهو ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان تنصر، قرأ كتب اليهود والنصارى(٥).

---

(١) الوحي المحمدى ص ٦٩.
(٢) الوحي المحمدى ص ٥٠، ٥١ باختصار.
(٣) سورة القصص: آية ٨٦.
(٤) تفسير البغوى ج٣ ص ٤٥٩.
(٥) نص الحديث ص ٣١ من هذا البحث.

٣ – لو كانت النبوة أمراً كان يرجوه محمد ﷺ ويتوقعه، وكان قد تم استعداده باختلائه وتعبده في الغار وما صوروا به حاله فيه من الفكر المضطرب، والوجدان الملتهب، والقلب المتقلب، حتى إذا كمل استعداده تجلى له رجاؤه له واعتقاده، بما تم به مراده، لظهر عقب كل ما كانت تنطوى عليه نفسه الوثابة، وفكرته الوقادة في سورة أو سور من أبلغ سور القرآن، في بيان أصول الإيمان، وتوحيد الديان، واجتثاث شجرة الشرك وعبادة الأوثان، وتشريع الأحبار والرهبان واتخاذ الولد للرحمن، وإنذار رءوس الكفر والطغيان ما سيلقون في الدنيا من الخزى والنكال، وفي الآخرة من عذاب النار، كسور المفصل، ولا سيما ق والقرآن المجيد، والذاريات، والطور، والنجم، والقمر، ثم الحاقة، والنبأ، أو في سورة أو أكثر من السور الوسطى التي تقرعهم بالحجيج، وتأخذهم بالعبر، وتضرب لهم المثل بسنن الله في الرسل، كسور الأنبياء، والحج، والمؤمنون.

ولكنه ظل ثلاث سنين لم يتل فيها على الناس سورة، ولم يدعهم إلى شئ ولا تحدث إلى أهل بيته ولا أصدقائه بمسألة من مسائل الإصلاح الدينى الذي توجهت إليه بزعمهم نفسه، ولا من ذم خرافات الشرك الذي ضاق به ذرعاً، إذ لو تحدث بذلك لنقلوه عنه، وناهيك بألصق الناس به: خديجة، وعلى، وزيد بن حارثة في بيته، وأبى بكر الصديق الذي عاشره طول عمره، فهذا السكوت وحده في فترة الوحي برهان قاطع على بطلان ما صوروا به استعداده للوحى للذاتى الذي زعموه، واستعداده لعلومه من التلقى الذي اختلقوه والاختبار الذي توهموه[١].

(١) الوحي المحمدى ص ٧٠.

أهم النتائج والتوصيات

من أهم النتائج التي وصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي...

١- الوحي إعلام سواء أكان بإشارة، أو بكتابة، أو برسالة، أو بإلهام، أو بكلام سريع وخفي، فكل هذه الوسائل وسائل إعلام لتبليغ أمر ما.

٢- المعنى الاصطلاحي قد يكون تخصيصاً للمعنى اللغوي أو قصراً له على واحد من أفراده أو نقلاً له إلى معنى جديد يربطه بالمعنى اللغوي رابطة معينة.

٣- يطلق الوحي على عملية نزول الوحي وعلى الموحى به، فتطلق كلمة الوحي ويراد بها جبريل وما ينزل به جبريل، والقرآن وحي: موحى به، والسنة وحي كذلك، وتوجد فروق بين الوحيين.

٤- بعض استعمالات لفظ الوحي في القرآن الكريم جاء من باب المعنى اللغوي وبعضها من باب المعنى الاصطلاحي.

٥- يرجح أن يكون وحي الله إلى أم موسى وحي إعلام.

٦- لم يكن وحي الله إلى أم موسى ومريم إلا من جميل عناية الله وعظيم رعايته بولديهما الكريمين ثم بهما بالتبعية وليس العكس صحيحاً.

٧- سمى الوحي روحاً لأنه يحيى قلوب المؤمنين.

٨- الوحي إلى الحواريين لم يكن وحي إلهام مباشر؛ وإنما كان وحياً عن طريق عيسى عليه السلام.

٩- اختلف المعنى المقصود من الوحي في كل موضع مراعاة لمقتضى الحال والمقام.

١٠- فالوحي هو وقود الحياة الذي يستمد منه المؤمن طاقته، ويساعده على اجتياز أزماته، ويدفع به دائماً إلى الارتقاء والسمو.

١١- تناولت السيرة موضوع الوحي من الجانب التاريخي، وعلوم القرآن تناوله من ناحية ما يتعلق به.

١٢- أثبت المفسرون والمحدثون والمؤرخون للسيرة النبوية أن الوحي فتر وانقطع عن النزول فترة من الزمن.

١٣- لم يرجح أحد من المفسرين المدة التي انقطع فيها الوحي؛ غير أنه وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين.

١٤- الوحي كان شاقاً على رسول الله ﷺ؛ خاصة في أوله، فأراد الحق سبحانه أنْ يُخفِّف عن رسوله هذه المشقة، وأنْ يؤخر عنه نزول الوحي فترة ليريحه جسدياً وبدنياً؛ ذلك من ناحية، وليُشوِّقه للوحي من ناحية أخرى.

١٥- هناك أدلة علمية وأدلة عقلية على وقوع الوحي.

١٦- تمادى الجهال قديماً وحديثاً في إثارة الشبه الواهية حول الوحي بنوعيه، وأكثر ما أثاروه كان متعلقاً بالقرآن الكريم؛ للتشكيك في صدقه.

أهم التوصيات:

يجب على كل مسلم تقوى الله، والتحلي بمكارم الأخلاق، والتمسك بتعاليم الإسلام، وليعلم كل مسلم أن وسيلته إلى ذلك لن تكون إلا بالتعلق بوحي الله، وترقبه في كل لحظات الحياة، وبتدبر وحي الله المنزل.

ثبت المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب في تفسير القرآن الكريم :

١ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادى المتوفى عام ٩٥١ هـ – طبعة : الجمعية الملاوية الأزهرية ، وطبعة صبيح بالقاهرة .

٢ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوى المتوفى عام ٧٩١ هـ – طبعة : عبد الرحمن محمد ١٣٤٤ هـ ، ١٩٢٥ م .

٣ – التفسير العلمي للآيات الكونية لحنفي أحمد – دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ م .

٤ – الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى – طبعة دار الكاتب العربى سنة ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .

٥ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى عام ٥٣٨ هـ – طبعة مصطفى الحلبى ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .

٦ – تفسير القرآن العظيم : للحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفى في عام ٧٧٤ هـ – طبعة دار إحياء الكتب العلمية .

٧ – تفسير القرآن الكريم لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى – طبعة دار القلم ١٩٦٦ م .

٨ – تفسير معالم التنزيل للإمام الجليل محى السنة محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك – طبعة دار المعرفة – الطبعة الخامسة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٩ – زاد المسير في علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن ابن على بن محمد الجوزى – طبعة دار الفكر ١٩٨٧ م .

١٠ – فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد ابن على بن محمد الشوكانى ، حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة – طبعة دار الوفاء الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .
١١ – معجم ألفاظ القرآن الكريم – وضع مجمع اللغة العربية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بمصر سنة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م .

ثالثاً : كتب فى علوم القرآن :

١٢ – الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٨٤٩ – ٩١١ هـ – تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا – طبعة دار ابن كثير – دمشق – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .
١٣ – الظاهرة القرآنية: لمالك بن نبي – مفكر جزائري– ، بترجمة عبد الصبور شاهين عن الفرنسية، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هـ. ١٩٨١م.
١٤ – المدخل لدراسة القرآن للشيخ محمد محمد أبى شهبة – طبعة الأزهر ١٩٥٨ م .
١٥ – النبأ العظيم : نظرات جديدة فى القرآن للشيخ الجليل الدكتور محمد عبد الله دراز المتوفى ١٩٥٨ م – طبعة العروبة بالقاهرة ١٩٦٠ م .
١٦ – الوحى المحمدى للسيد محمد رشيد رضا – طبعة الزهراء للإعلام العربى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، القاهرة – الطبعة السادسة .
١٧ – رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده – طبعة دار الهلال ١٩٦٣ م .
١٨ – تاريخ القرآن للأستاذ إبراهيم الإبيارى – طبعة دار القلم ١٩٦٥ م .
١٩ – لمحات فى علوم القرآن واتجاهات التفسير للدكتور محمد بن لطفى الصباغ ، طبعة المكتب الإسلامى – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .
٢٠ – مباحث فى علوم القرآن لمنّاع القطّان – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة والثلاثون ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
٢١ – مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى – طبعة دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة .

٢٢ – من قضايا الوحى والتنزيل فى القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح ابراهيم سلامه – طبعة دار الصحابة للتراث – طنطا – جمهورية مصر العربية – الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

رابعاً : كتب السنة النبوية :

٢٣ – اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخارى ومسلم) جمع وتعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى – طبعة عيسى الحلبى .

٢٤ – المستدرك لأبى عبد الله محمد الحاكم النيسابورى – طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد – الهند سنة ١٣٣٣ هـ .

٢٥ – سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ٢٠٢ – ٢٧٥ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة سنة ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م .

٢٦ – سنن الترمذى – المطبوع مع تحفة الأحوذى – طبعة الهند سنة ١٣٤٣

٢٧ – سنن النسائى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى ٢١٥ – ٣٠٣ هـ – مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر سنة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤م

٢٨ – صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى ، تحقيق شعيب الرناؤوط ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٤ هـ .

٢٩ – صحيح البخارى للإمام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ – طبعة الشعب .

٣٠ – صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى المتوفى ٢٦١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٧٤ هـ .

٣١ – صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى بشرح محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى – طبعة المصرية .

٣٢ – فتح البارى ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى ٧٧٣ – ٨٥٢ هـ –

المطبعة السلفية ومكتبتها ، الروضة – القاهرة .
٣٣ – مسند أحمد للإمام أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى عام ٢٤١ هـ بشروح وتعليقات البحاثة أحمد محمد شاكر طبعة المطرف ، الطبعة الثالثة .
٣٤ – معالم السنن للخطابى ، تحقيق أحمد شاكر وحامد الفقى – مطبعة السنة المحمدية بمصر – سنة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .

خامساً : كتب السيرة :

٣٥ – الرحيق المختوم " بحث فى السيرة النبوية " على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، للشيخ صفى الرحمن المباركفورى – طبعة المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
٣٦ – تلقيح فهوم الأثر لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المتوفى ٥٩٧ هـ – جيد برقى بريس دهلى – الهند .
٣٧ – زاد المعاد فى هدى الخير العباد لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية المتوفى ٧٥٢ هـ بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ، طبعة السنة المحمدية .
٣٨ – ساعات حرجة فى حياة الرسول ﷺ للأستاذ عبد الوهاب حموده – طبعة المكتبة الثقافية .
٣٩ – سيرة النبى ﷺ لابن اسحاق وتهذيب محمد بن عبد الملك بن هشام ، تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة كتاب التحرير – القاهرة ١٣٨٣ هـ .
٤٠ – مختصر سيرة الرسول – ﷺ – للشيخ عبد الله بن محمد النجدى آل الشيخ المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢ هـ – المطبعة السلفية ومكتبتها الروضة بمصر ١٣٧٩ هـ .

سادساً : مراجع لغوية :

٤١ – أساس البلاغة لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى المتوفى ٥٣٨ هـ – طبعة الشعب .
٤٢ – القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى المتوفى

٨١٧ هـ – طبعة مصطفى الحلبى .
٤٣ – المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى ٧٧٠ هـ – طبعة الأميرية .
٤٤ – لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى المتوفى ٧١١ هـ – طبعة الدار المصرية للتأليف والنشر .
٤٥ – مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى – طبعة المطبعة الأميرية .

سابعاً : كتب أسباب النزول :

٤٦ – أسباب النزول للسيوطى – طبعة نصير بمصر ١٩٨٣ م .
٤٧ – أسباب النزول للإمام ابى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، المتوفى ٤٦٨ هـ ، دراسة وتحقيق الدكتور السيد الجميلى الناشر دار الكتاب العربى – بيروت – الطبعة السادسة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .

ثامناً : مراجع عامة :

٤٨ – مقدمة ابن خلدون للمفكر الاجتماعى والمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ، طبعة التقدم ، وهى الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العجم والبربر .